

●● ارتدَّ ثم دخل الجنة

*** روى أهل السير، وصاحب السيرة الشامية قال:

أسلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشى وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتدَّ عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة، فلما فتحها رسول الله ﷺ أهدر دمه فيمن أهدر من الدماء، فجاء إلى عثمان بن عفان فاستأمن له، ثم أتى به النبي ﷺ بعدما اطمأن أهل مكة، واستأمن له رسول الله ﷺ فصمت طويلاً ثم قال: نعم، فلما انصرف عثمان قال النبي ﷺ لمن حوله: ما صمَّتُ إلا لتقتلوه، فقال رجل: هلا أوْمأت إلينا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما كان لنبى أن تكون له خائنة الأعين، ثم أسلم ذلك اليوم وحسن إسلامه، ولم يظهر منه بعد ذلك ما يُنكر، وهو أحد العقلاء الكرماء من قريش، ثم ولاه عثمان رضى الله عنه مصر سنة خمس وعشرين، ففتح الله على يديه إفريقيا وكان فتحاً عظيماً بلغ سهم الفارس منه ثلاثة آلاف مثقال، وغزا بعد ذلك أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، ثم غزا غزوة الصواري في البحر إلى الروم، واعتزل الفتنة حين قُتل عثمان رضى الله عنه، ودعا أن يُختم عمره بالصلاة فسلم من صلاة الصبح التسليمة الأولى، ثم همَّ بالتسليمة الثانية عن يساره فتوفى رضى الله عنه.

●● كاتب الوحي تنبذته الأرض

*** روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال:

كان رجل نصرانى فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فارتد نصرانياً، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعه وقالوا: هذا كان يكتب لمحمد، فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فمات، فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذاً.

●● أوصى وهو ميت

*** روى مسلم أن رسول الله ﷺ بشر ثابت بن قيس الأنصاري بالجنة، وروى الترمذى أن النبي ﷺ قال: نعم الرجل ثابت بن قيس، ونقل النووى فى تهذيب الأسماء: أنه استشهد يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ولما استشهد كان عليه درع نفيس، فأخذها رجل، فرأى رجل فى منامه ثابتاً، فقال له ثابت: إني أريد أن أوصيك وصية وإياك أن تقول هذا حلم فتضيّعه، إني قتلت أمس، فمررت بى رجل فأخذ درعى، ومنزله فى أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن فى طوكة، وقد كفا على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالداً فمره فليبعث فليأخذها، فإذا قدمت المدينة فقل لأبى بكر: على دين كذا وكذا، وفلان من رقيقى حرّ وفلان عتيق، فأتى الرجل خالداً فبعث إلى الدرع فأتى بها على ما وصف ثابت، وأخبر أبى بكر برؤياه فأجاز وصيته، فلم يعلم أحد وصى بعد موته فنفذت وصيته غيره.

●● ما سابقته إلى خير إلا سبقنى

*** روى أبو يعلى، والبيهقى، وأبو نعيم عن قيس بن مروان قال:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بعرفة فقال: يا أمير المؤمنين، جئت من الكوفة وتركت بها رجل يملئ المصاحف عن ظهر قلبه، قال: فغضب عمر وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتى الرحل فقال: ويحك من هو؟ فقال: عبد الله بن مسعود، فما زال عمر يطفى ويسرى عنه الغضب حتى عاد إلى حالته التى كان عليها. فقال: ويحك والله ما أعلم أحداً بقى من الناس هو أحق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك.

كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبى بكر الليلة، كذلك فى أمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، ثم خرج رسول الله ﷺ يمشى ونحن نمشى معه، فإذا رجل قائم يصلى فى المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا أن نعرف الرجل، قال رسول الله ﷺ: من سره أن يقرأ القرآن

رطبًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجلس رسول الله ﷺ يقول: سل تُعطه. فقال عمر: فقلت: والله لأغدوّن إليه فلا بُشرته: قال: فغدوتُ عليه لأبشره فوجدتُ أبا بكر قد سبقني إليه فبشره فقلت: والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه.

●● يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي

*** روى الإمام أحمد، والبيهقي عن أبي مويهبة رضى الله عنه قال:

أمر رسول الله ﷺ أن يُصلى على أهل البقيع فصلى عليهم ثلاث مرات، فلما كان في الثانية هبني من جوف الليل فقال: يا أبا مويهبة إنى أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فاسرُج لي دابتي، قال: فركب ومشيتُ حتى انتهى إليهم فنزل عن دابته، وأمست بالدابة، فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرهم أولها، والآخرة شر من الأولى، ثم أقبل على وقال: يا أبا مويهبة إنى أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة، قال: قلت: بأبي وأمي أنت فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة. ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه حين أصبح. وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما مرّ رسول الله ﷺ على بابي قط إلا قد قال كلمة تقرّ بها عيني، قالت: فمرّ يوماً فلم يكلمني ومرّ من الغد فلم يكلمني قالت: ومرّ من الغد فلم يكلمني، قلت: قد وجد على رسول الله ﷺ في شيء، قالت: فعصبتُ رأسي وصقرت وجهي وألقيتُ وسادة قبالة باب الدار فاجتنتح عليها، قالت: فمرّ رسول الله ﷺ فنظر إليّ فقال: ما لك يا عائشة؟ قلت: يا رسول الله اشتكيت وصدّعت، قال: تقولين: واراأساه، بل أنا واراأساه، قالت: فما لبث إلا قليلاً حتى أتيتُ به يُحمل في كساء، قالت: فمرّضته ولم أمرّض مريضاً قط. وروى

البخارى وغيره أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذى مات فيه، أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها، فمات فى يومى الذى كان يدور على فيه، قبضه الله بين سحرى ونحرى، ودُفن فى بيتى .

هلك الوالد، وغاب الوافد

*** روى الواقدي والطبرى عن محمد بن إسحاق عن شيبان بن سعد الطائى قال :

كان عدى بن حاتم الطائى يقول فيما بلغنى : ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنتُ امرءاً شريفاً، وكنتُ نصرانياً أسير فى قومى بالمربع - أى أخذ الربع من الغنائم - فكنت فى نفسى على دين، وكنت ملكاً فى قومى لما كان يصنع بى ، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لى عربى وكان راعياً لإبلى : لا أباً لك ، أعدد لى من الإبل أجماً لا ذلاً سماناً مسان ، فاحبسها قريباً منى ، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة فقال : يا عدى ، ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى رأيت رايات ، فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : قرب لى جمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكت الحوشية وخلفت ابنة حاتم فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتخالفتنى خيل رسول الله ﷺ فتصيب ابنه حاتم فيمن أصيب . فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا طيء ، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام .

قال : فجعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحبسن بها ، فمر رسول الله ﷺ فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامن على من الله عليك ، قال : ومن وافدك؟ قالت : عدى بن حاتم ، قال : الفار من الله ورسوله؟! قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى ، حتى إذا كان الغد مررت بى وقد أيست فأشار إلى رجل من خلفه : أن قومى

إليه فكلميه، قالت: فقمْتُ إليه، فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ من الله عليك!!

قال: قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني، قالت: فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أكلمه فقيل: على بن أبي طالب.

قالت: وأقمت حتى قدم ركب من بليِّ قالت: وإنما أريد أن أتى أخى بالشام، قالت: فجئتُ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لى فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكسانى رسول الله ﷺ، وحملنى وأعطانى نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدى: فوالله إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى طعينة تصوب إلى تؤمنا. قال: فقلت: ابنة حاتم!! قال: فإذا هى هى، فلما وقفت على أنسلحت تقول: القاطع الظالم!! احتملت بأهلك وولدك وتركت بنى والدك وعورتها!! قال: قلت: يا أختي لا تقولى إلا خيراً، فوالله ما لى عذر، لقد صنعتُ ما قلت.

قال: ثم نزلت فأقامت عندى، فقلت لها: ماذا ترى فى أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة، وإن يكن ملكاً فلن تزل فى عزِّ اليمين، وأنت أنت. قلت: والله إن هذا للراى.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، فدخلتُ عليه وهو فى مسجده فسلمتُ عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدى بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بى إلى بيته، فوالله إنه لعامد بى إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها. قال: فقلت فى نفسى: والله ما هذا بملك، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى دخل بيته، فتناول وسادة من آدم محشوة ليفاً فقذفها إليَّ، فقال لى: اجلس على هذه، قال: قلت: لا بل أنت فاجلس عليها، قال: لا بل أنت، فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض.

قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم !! ألم تك رَكُوسِيًّا؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحلّ لك فى دينك ، قال : قلت : أجل والله ، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل ، قال : ثم قال : لعلة يا عدى بن حاتم إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور البيت لا تخاف إلا الله، ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، قال : فأسلمت ، فكان عدى يقول : مضت الثتان وبقيت الثالثة ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة : لفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه .

●● رُبْعِيَّ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ

*** روى الطبرى معركة القادسية قال :

أرسل سعد بن أبى وقاص إلى رستم قائد الفرس ربّعى بن عامر ، فخرج ربّعى ليدخل على رستم عسكره ، فاحتبسه الذين على القنطرة ، وأرسل إلى رستم لمجيئه ، فاستشار رستم عظماء أهل فارس فقال : ما ترون؟ فأظهروا الزبرجد ، وبسطوا البسط والنمارق ، ولم يتركوا شيئاً ، ووضع لرستم سرير الذهب ، وألبس زينته من الأمانط والوسائد المنسوجة بالذهب ، وأقبل ربّعى يسير على فرس له قصيرة ، معه سيف له مجلّو وغمده فى لفافة ثوب خلّق ، ورمحه مقبضة بعلباء بعير ، ومعه ترس من جلود البقر ، ومعه قوسه ونبله ، فلما غشى الملك وانتهى إليه وإلى أدنى البساط ، قيل له : انزل ، فحمل الفرس على البساط ، فلما استوت عليه ، نزل عنها وربطها بوسادتين فشققهما ثم أدخل الحبل

فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه، وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا، فأراد إحراجهم، وعليه درع، وشدّ على وسطه بسلب من ليف، ولرأسه أربع ضفائر كأنهن قرون الوعل، فقالوا: ضع سلاحك، فقال: إني لم أتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتوني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت، فأخبروا رستم، فقال: ائذنوا له، هل هو إلا رجل واحد!! فأقبل يتوكأ على رمحه وزجّه بصل يقارب الخطو، ويزجّ النمارق والبسط، فما ترك لهم ثمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه مخرقاً، فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، وجلس على الأرض، وركز رمحه بالبسط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب الجلوس على زينتكم هذه.

فكلمه رستم فقال: ما جاء بكم؟ قال: إن الله تعالى ابتعثنا، وجاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لدعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك، قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله.

قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبي، والظفر لمن بقى. فقال رستم: قد سمعت مقاتلتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم يوماً أو يومين؟ قال: حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. قال ربي: إن مما سنّ لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا ألا نمكّن الأعداء من أذاننا، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزية فنقبل ونكف عنك، أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدوك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى. قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أديانهم على أعلاهم.

●● أبو محجن يقاتل في محبسه

*** روى الطبراني في التاريخ، والأصبهاني، قالاً:

لما اشتد القتال بالقادسية، وكان أبو محجن الشاعر قد حُبس وقيّد، حبسه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه معه في القصر، فصعد أبو محجن حين أمسى إلى سعد يستعفيه، فزجره وردّه، فنزل، فأتى سلمة بنت خصفة امرأة سعد، فقال: يا سلمى يا بنت آل خصفة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلّين عني وتعيرينني البلقاء - فرس - فله علىّ إن سلّمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى في قيدي، فقالت: وما أنا بذلك. فرجع يرسف في قيوده ويقول:

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقتنا وأترك مشدوداً على وثاقيا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة فقد تركوني واحداً لا أخاليا
ولله عهد لا أخيس بعهدده لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فقالت سلمى: إني استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقتها وقالت: أما الفرس فلا أعيرها، ورجعت إلى بيتها. فاقتاد الفرس فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها، ثم دبّ عليها، حتى إذا كان بحيال ميمنة الجيش كبرّ ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفيين، ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبرّ وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفيين، ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبرّ وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفيين برمحه وسلاحه، ثم رجع خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس، فحمل على القوم يلعب بين الصفيين برمحه وسلاحه، وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً، وتعجّب الناس منه وهم لا يعرفونه مثلثماً، وجعل سعد رضي الله عنه وهو مشرف على الناس يقول: والله لولا محبس أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء!!

فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس، وتراجع المسلمون، وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج، ووضع عن نفسه وعن دابته، وأعاد رجله في قيده.

فقلت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أى شىء حبسك؟ قال : أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدبّ الشعر على لسانى ، يبعثه على شفقتى أحياناً ، فساء لذلك ثنائى ، فقد قلت :
 إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقتها
 ولا تدفنى بالفلاة فإننى أخاف إذا مت ألا أذوقها
 فأصبحت سلمى فأتت سعد وأخبرته خبرها وخبر أبى محجن ، فدعا به فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله .

●● هروب هرقل من سورية

*** روى الطبرى خبر ارتحال هرقل ملك الروم منهزماً إلى القسطنطينية قال :

إن هرقل كان كلما حج بيت المقدس فخلف سورية وطعن فى أرض الروم التفت فقال : عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره وهو عائد ، فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر الماء إلى الرهاء - موضع - فلم يزل بها حتى فتحت قنسرين وقتل قائده ميناس ، فخنس عند ذلك إلى شمشاط - بلد - ولحقه رجل من الروم كان أسيراً فى أيدي المسلمين ، فأفلت فقال له : أخبرنى عن هؤلاء القوم ، فقال : أحدثك كأنك تنظر إليهم : فرسان بالنهار ورهبان بالليل ، ما يأكلون فى ذمتهم إلا بثمان ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن صدقتنى ليوشكن لهم ما تحت قدمى هاتين .

حتى خرج إلى القسطنطينية على شرف ، فالتفت نحو سورية وقال : عليك السلام يا سورية ، سلاماً لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومى أبداً إلا خائفاً .

●● أرطوبون العرب

*** روى الطبرى قصة الأرطوبون القائد الرومى الداهية ، وكان أدهى الروم وأبعدها غوراً وأنكاها فعلا ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً ، وبإبلياء جنداً عظيماً ،

ونزل بأجنادين . فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بالخبر ، فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب ، فانظروا عم تنفرج ، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطوبون على سقطة ، ولا تشفيه الرُّسل ، فوليه بنفسه ، فدخل عمرو بن العاص على الأرطوبون كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد ، وسمع كلامه ، وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد . وقال أرطوبون فى نفسه بعد أن سمع كلامه : والله إن هذا لعمرو ، أو إنه للذى يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله . ثم دعا حرسياً فسارّه بقتله ، فقال : اخرج فقم مكان كذا وكذا ، فإذا مرّ بك فاقتله .

وفطن له عمرو ، فقال : قد سمعت منى وسمعت منك ، فأما ما قلت فقد وقع منى موقِعاً ، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنعاونه ويشهدنا أموره ، فأرجع فأتيك بهم الآن ، فإن رأوا فى الذى عرضت مثل الذى أرى ، فقد رآه أهل العسكر والأمير ، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمَنهم وكنت على رأس أمرك ، فقال : نعم ، ودعا رجلا فسارّه وقال : اذهب إلى فلان فردّه إلىّ ، فرجع إليه الرجل ، وقال لعمرو انطلق فجئ بأصحابك ، فخرج عمرو ورأى ألا يعود لمثلها ، وعلم الرومى بعد أنه خدعه ، فقال : خدعنى الرجل ، هذا أدهى الخلق .

وناهده عمرو ، وقد عرف مأخذه وعاقبته ، والتقوا بأجنادين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم إن أرطوبون انهزم فى الناس فأوى إلى إلباء ، ونزل عمرو أجنادين ، ولحق أرطوبون بمصر .

●● إنه عمر

*** روى الطبرى عن سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال :

لما وكىَ عمر قعد على رزق أبى بكر الذى كانوا فرضوا له - أى مرتباً - فكان بذلك ، فاشتدت حاجته ، فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان ، وعلى وطلحة ، والزبير ، فقال الزبير : لو قلنا لعمر فى زيادة نزيدها إياه فى رزقه !! فقال على : ودَدْنَا قبل ذلك ، فانطلقوا بنا ، فقال عثمان : إنه عمر !! فهلمّوا فلنستبرئ

ما عنده من وراء، نأتى حفصة فنسألها ونستكتمها، فدخلوا عليها وأمرها أن تخبر بالخبر عن نفر، ولا تسمى له أحداً، إلا أن يقبل، وخرجوا من عندها.

فلقيت عمر فى ذلك، فعرفت الغضب فى وجهه، وقال: من هؤلاء؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك، فقال: لو علمت من هم لسودت وجوههم، أنت بينى وبينهم، أنشدك بالله، ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ فى بيتك من الملابس؟ قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد، ويخطب فيهما للجمع. قال: فأى الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: خبزنا خبزة شعير، فصبنا عليها وهى حارة أسفل عكة لنا فجعلناها هشة دسمة، فأكل منها وتطعم منها استطابة لها. قال: فأى مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء لنا ثخين كنا نربعه فى الصيف فنجعله تحتنا، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه. قال: يا حفصة، فأبلغهم عنى أن رسول الله ﷺ قدّر فوضع الفضول مواضعها، وتبلغ بالتزجية - بالكفاية - وإنى قدرت فوالله لأضعن الفضول مواضعها، ولأبلغن بالتزجية، وإنما مثلى ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً، فمضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ، ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه، فأفضى إليه، ثم اتبعه الثالث، فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وكان معهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما.

●● فالكيس الكيس يا عمر

*** روى الطبرى قال:

أصاب الناس فى إمارة عمر بن الخطاب سنة بالمدينة وما حولها، فكانت تسفى الرياح تراباً كالرماد، فسمى ذلك العام عام الرمادة، فألى عمر ألا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحمًا حتى يحيى الناس، فهزل المال، فقال أهل بيت من مزينة من أهل البادية لبلال بن الحارث المزنى: قد بلغنا، فاذبح لنا شاة، قال: ليس فيهن شيء، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة، فسلى عن عظم أحمر، فنادى: يا محمداه!! فأرى فيما يرى النائم أن رسول الله ﷺ أتاه، فقال: أبشر بالحيا - المطر - ائت عمر

فأقرئه منى السلام، وقل له: إن عهدي بك وأنت وفى العهد، شديد العقد،
فالكيس الكيس يا عمر!!

فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلّامه: استأذن لرسول رسول الله ﷺ، فأتى عمر
فأخبره، ففزع وقال: أيت به مساً؟ قال: لا، قال: فأدخله، فدخل فأخبره الرؤيا،
قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة، فخرج فنادى فى الناس، وصعد المنبر، وقال:
أنشدكم بالله الذى هداكم للإسلام، هل رأيتم منى شيئاً تكرهونه؟ قالوا: اللهم لا،
قالوا: وما ذاك؟ فأخبرهم، ففطنوا ولم يفطن فقالوا: إنما استبتأك فى الاستسقاء،
فاستسق بنا، فخرج وخرج معه الناس، فقام فخطب فأوجز، ثم صلى ركعتين
فأوجز، ثم قال: اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا، اللهم عجزت عنا أنصارنا،
وعجزت عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم
فاسقنا، وأحى العباد والبلاد. فما بلغوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغدران.

●● إن لله جنوداً من عسل

*** روى الطبرى فى أحداث سنة إحدى وعشرين وقعة نهاوند فى إمارة عمر بن
الخطاب رضى الله عنه، وقد اجتمعت بنهاوند الأعاجم وعليهم فيروز ملكاً
وقائداً، ومعه ما يقرب من مائة ألف وخمسين مقاتلاً، وعلى المسلمين النعمان بن
مقرن ومعه ثلاثون رجلاً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلوا فيها من أهل فارس فيما
بين الزوال إلى الليل مائة ألف أو يزيدون مما طبّق أرض المعركة دمًا يزلق الناس
والدواب فيه، وأصيب فرسان من فرسان المسلمين من الزلق فى الدماء، وزلق
فرس النعمان بن مقرن فى الدماء فصرعه فكانت شهادته. ونجا الفيروز بين
الصرعى فى المعركة فهرب نحو همدان، فأتبعه القعقاع بن عمرو حتى انتهى إلى
ثنية همدان، والثنية مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلاً، فحبسته الدواب،
وإن الفيروزان لما غشيه القعقاع نزل وتوغل فى الجبل لما لم يجد مساعاً حيث حبسته
بغال العسل، فلحق به القعقاع فقتله على الثنية، وقال المسلمون: إن لله جنوداً من
عسل، واستاقوا البغال والعسل إلى معسكر المسلمين.

●● عروس النيل

*** روى ابن كثير قال :

لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص ، حين دخل بؤونة من أشهر العجم فقالوا: أيها الأمير ، إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها . قال : وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمَدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الخلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما قبله .

قال : فأقاموا بؤونة وأيبب ومسرى -أشهر- والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا ، حتى همُّوا بالجلء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه ، إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي ، فألقها في النيل .

فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإن كنت تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذى يجريك فلنسأل الله تعالى أن يجريك ، قال : فألقى البطاقة فى النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة .

●● فلا نامت أعين الجبناء

*** ذكر ابن كثير فيمن توفى سنة إحدى وعشرين خالد بن الوليد رضى الله عنه قال :

روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه لما أمر خالدًا على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فنعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلَّه الله على الكفار والمنافقين .

وروى أحمد ، وابن عساکر ، أن عمر بن الخطاب استعمل أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد ، فقال خالد : بعث إليكم أمين هذه الأمة ، سمعت رسول

الله ﷺ يقول: أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خالد سيف من سيوف الله نعم فتى العشيرة. وروى البخارى فى التاريخ عن ياسر بن سلمى المزنى قال: سمعت عمر يعتذر للناس بالجباية عن عزل خالد، فقال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المسلمين فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف واللسان، فأمرتُ أبا عبيدة، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: ما اعتذرت يا عمر، لقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، ووضعت لواء رفعه رسول الله ﷺ، وأغمدت سيفاً سألته الله، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم.

فقال عمر: إنك قريب القرابة، حديث السن، مغضب فى ابن عمك.

وروى الواقدي قال: لما حضرت خالداً الوفاة بكى ثم قال: لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما فى جسدى شبر إلا فيه ضربة سيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وهما أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء. لقد طلبتُ القتل فى مظانته فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى، وما من عملى شىء أرجى عندى بعد لا إله إلا الله من ليلة بثها وأنا متترس والسماء تهلنى تمطر إلى الصبح، حتى نغير على الكفار.

● لو كانت راضية أطعمتنا خيراً من ذلك

*** روى ابن كثير، والواقدي، والطبرى قالوا:

إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال: يا سارية زُيِّمَ الجبل الجبل، فلم يدر المسلمون ما يقول حتى قدم رسول سارية المدينة على عمر: قال: إن الفرس والأكراد جمعوا جموعاً عظيمة، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم وجمع كثير، سمعوا صوتاً ينادى: يا سارية بن زعيم الجبل، فلجأ المسلمون إلى جبل هناك فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهة واحدة فأظفرهم الله بهم، وفتحوا أفسيا وأبجرد، وغنموا شيئاً كثيراً، فكان من جملة ذلك سَظ - قُفَّة - من جوهر، فاستوَّهبه سارية من الجنود لعمر، فلما وصل إليه مع الأحماس قدم

رسول سارية بالخمسة والسفط فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماتهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس . ولم يعرفه عمر - فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله وأتبعه الرجل ، فاستأذن له وإذا هو قد وُضع له خبز وزيت وملح ، فقال للرجل : ادن فكل . قال الرجل : فجلست فجعل عمر يقول لامرأته : ألا تخرجين يا هذه فتأكلين؟ فقالت : إنى أسمع حسَّ رجل عندك ، فقال : أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لى غير هذه الكسوة ، فقال : أما ترضين أن يقال أم كلثوم بنت على وامرأة عمر!! فقالت : ما أقل غناء ذلك عنى ، ثم قال للرجل : ادن فكل فلو كانت راضية لأطعمتنا أطيب مما ترى ، فأكلا فلما فرغا قال الرجل : أنا رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين ، فقال : مرحباً وأهلاً ، ثم أدناه حتى مسَّت ركبته ركبته ، ثم سأل عن المسلمين ، فأخبره ، ثم ذكر له شأن السفط من الجوهر فأبى أن يقبله وأمر برده إلى الجند .

●● عشرون يغلبون مائتين

*** روى ابن كثير أحداث سنة سبع وعشرين قال :

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية ، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وفي جيشه عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، صمد لهم ملك البربر جرجير فى عشرين ومائة ألف ، وقيل : مائتى ألف ، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون فى موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه . قال عبد الله بن الزبير : فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب بردون ، وجاريتان تظلاله بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد فسألته أن يبعث معى من يحمى ظهرى وأقصد الملك ، فجهز معى جماعة من الشجعان ، قال : فأمر بهم فحموا ظهرى وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه ، وهم يظنون أنى فى رسالة إلى الملك ، فلما اقتربت منه أحس منى الشر ففر على بردونه ، فلحقته فطعنته برمحى ، وأجهزت عليه بسيفى ، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت ، فلما رأى البربر ذلك فروا وخافوا كفرار

القطا، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فغنموا غنمًا جمّة وأموالا كثيرة، وسبيًا عظيمًا، وذلك ببلد يقال لها سبيطة على يمين من القيروان، فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما.

●● مِمَّنْ تَعْلَمُ الْأَحْنَفَ الْحَلْمَ؟

*** ذكر ابن كثير فيمن توفى سنة سبع وأربعين قيس بن عاصم المنقري، كان من سادات الناس في الجاهلية والإسلام، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية والإسلام، وذلك أنه سكر يوماً فعبث في ذات محرم منه فهربت منه، فلما أصبح قيل له في ذلك فقال:

رأيت الخمر منقصة وفيها مقابح تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي ولا أشقى بها أبداً سقيما

قال الأصمعي: سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان: قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما يختلف إلى الفقهاء، فبينما نحن عنده يوماً وهو قاعد بفناءه -ساحة الدار- محتب بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، فقالوا: هذا ابنك قتله ابن أخيك، قال: فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المسجد فقال: أطلق عن ابن عمك، وواد أخاك، واحمل إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة، ولما حضرته الوفاة جلس حوله بنوه، وكانوا اثنين وثلاثين ذكراً، فقال لهم: يا بنيّ سوّدوا عليكم أكبركم تخلفوا أباكم، ولا تسوّدوا أصغركم فيزدري بكم أكفاؤكم، وعليكم بالمال واصطناعه فإنه نعم ما يهبه الكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس فإنها من أخس مكسبة الرجل.

●● من رضى بقتل ابنته إكراماً لضيّفه

*** روى ابن كثير في السيرة أن عبّيد الله بن عباس شقيق عبد الله بن عباس رضى الله عنهم، نزل في سفر مع مولى له على خيمة رجل من الأعراب، فلما رآه الأعرابي

أعظمه وأجله، ورأى حسنه وشكله فقال لامرأته: ويحك ماذا عندك لضيفنا هذا؟ فقالت: ليس عندنا إلا هذه الشاة التي حياة ابنتك من لبنها، فقال: إنه لا بد من ذبحها، فقالت: أتقتل ابنتك؟ فقال: وإن، فأخذ الشفرة والشاة وجعل يذبحها ويسلخها وهو يقول:

يا جارتى توقظى البنية . . إن توقظيها تتحب عليه . . وتنزع الشفرة من يديه

ثم هيأها طعاماً فوضعها بين يدي عبید الله ومولاه فعشاهما، وكان عبید الله قد سمع محاورته لامرأته في الشاة، فلما أراد الارتحال قال لمولاه: ويحك ماذا معك من المال؟ فقال: معي خمسمائة دينار فضلت من نفقتك، فقال: ادفعها إلى الأعرابي، فقال: سبحان الله!! تعطيه خمسمائة دينار وإنما ذبح لك شاة واحدة تساوي خمسة دراهم؟ فقال: ويحك والله لهو أسخى منا وأجود، لأننا إنما أعطيناه بعض ما نملك، وجاد هو علينا بجميع ما يملك، وآثرنا على مهجة نفسه وولده.

●● عُرَابَةُ أَسْحَى الثَّلَاثَةِ

*** روى ابن كثير أن ثلاثة اختلفوا عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم، فقال أحدهم: عبد الله بن جعفر، وقال الآخر: قيس بن سعد بن عبادة، وقال الآخر: عُرَابَةُ الأَوْسَى، فتمادوا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة، فقال لهم رجل: فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره، فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان.

فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله في الركاب ليذهب إلى ضيعته، فقال له: يا ابن عم رسول الله ﷺ، ابن سبيل ومنقطع به، قال: فأخرج رجله من الركاب وقال: ضع رجلك واستو عليها فهي لك بما عليها، وخذ ما في الحقيبة ولا تخدعن السيف فإنه من سيوف علي بن أبي طالب، فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار، وملابس من خز وغير ذلك، وأجل ذلك سيف علي بن أبي طالب.

ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائماً، فقالت له الجارية -خادم- ما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما فى دار قيس مال غيره اليوم، واذهب إلى مولانا فى معاطن الإبل فخذ لك ناقة وعبداً، واذهب راشداً، فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك .

وذهب صاحب عرابة الأوسى إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبدین له -وكان قد كفّ بصره- فقال له: يا عرابة، فقال: قُلْ، فقال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فَخَلَّى عن العبدین ثم صَفَّق بيديه، وقال: والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً، ولكن خذ هذين العبدین، وأقبل يلتمس الحائط بيديه، فأخذهما وجاء بهما إلى صاحبيه .

قال: فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم، وأن ذلك ليس بمستنكر له، وأن قيساً أحد الأجواد حكّم مملوكته فى ماله بغير علمه واستحسن فعلها وعتقها شكراً لها على ما فعلت، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسى، لأنه جاد بجميع ما يملكه، وذلك جهد من مقل .

●● مجلس علم فخر لقريش كلها

*** روى ابن كثير فى التاريخ عن أبى صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس رضى الله عنهما مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابهِ حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب. قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابهِ، فقال لى: ضَع لى وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل. قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سأله عن شىء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقهِ فليدخل، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت

والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن الفرائض -الموارث- وما أشبهها فليدخل، فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من كان يريد أن يسأل عن العريضة والشعر والغريب من الكلام فليدخل، فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس.

●● وهل تلد الفرس عجلاً؟!

*** روى ابن كثير في السيرة عن عكرمة قال: كانت ثلاثة قضاة في بني إسرائيل، فمات واحد فجعل الآخر مكانه، ففوضوا ما شاء الله أن يقضوا، فبعث الله ملكاً على فرس فمرّ على رجل يسقى بقرّة معها عجل، فدعا الملك العجل، فتبع العجل الفرس، فجاء صاحبه ليرده فقال: يا عبد الله عجلي وابن بقرتي، فقال الملك: بل هو عجلي وابن فرسي، فخاصمه فقال: القاضى بينى وبينك، قال الملك: رضيت، فارتفعا إلى أحد القضاة، فتكلم صاحب العجل فقال له: مرّ على فرس فدعا عجلي فتبعه فأبى أن يرده، قال: ومع الملك ثلاث دُرّات لم ير الناس مثلها، فأعطى القاضى درّة وقال: أقض لى، فقال: كيف يسوغ هذا؟ فقال: نرسل العجل خلف الفرس والبقرة فأيهما تبعها فهو ابنها، ففعل ذلك فتبع الفرس فقضى له. فقال صاحب العجل: لا أرضى؛ بينى وبينك القاضى الآخر، ففعل مثل ذلك، ثم أتيا القاضى الثالث فقصّا عليه قصتهما، فناوله الملك الدرّة الثالثة فلم يأخذها، وقال: لا أقضى بينكما اليوم، فقالا: ولم لا تقضى بيننا اليوم؟ فقال: لأنى حائض، فقال الملك: سبحان الله!! رجل يحيض؟ فقال القاضى: سبحان الله!! وهل تنتج الفرس عجلاً؟ فقضى لصاحب البقرة. فقال الملك: إنكم إنما ابتليتكم، وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك.